

رئيس الجامعة الأميركية في بيروت وضع مجلّداً مرجعياً عن آثار مدينة فرعونية
الجمعة 5 آذار 2010

أصدر المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو مجلّداً ضخماً بعنوان: "مدينة هابو التاسعة. معبد الأسرة الثامنة عشرة، الجزء الأول: المقدسات الداخلية". ويزن هذا المجلّد عشرة كيلوغرامات ويضم 150 لوحة ودليل مع شرح من 92 صفحة ويشكّل مرجعاً للعلماء والطلاب على حد سواء. وقد وضعه فريق الدكتور بيتر دورمان، رئيس الجامعة الأميركية في بيروت، وهو أيضا عالم آثار مصرية معروف، بعد بعثة أركيولوجية توجهت إلى الاقصر (طيبة القديمة) لدراسة الحرم الداخلي لمعبد متواضع يعجّ بثروة من المعلومات والألغاز. ويقع هذا المعبد داخل مجمّع مدينة هابو العريقة، التي يمتد تاريخها عدة آلاف من السنين، من الأسرة الثامنة عشرة وصولاً إلى بداية التقويم المسيحي. ومجمّع مدينة هابو هو معبد جنائزي ذات هندسة معمارية مميّزة ويغطّي مساحة تبلغ نحو 60 ألف متراً مربّعاً. وهو معروف أكثر بالمساحة الممتدة على سبعة آلاف متراً مربعاً من النقوش البارزة التي تزيّن معبد رعمسيس الثالث الجنائزي الشاسع، من الأسرة التاسعة عشرة. ولكن المعبد المتواضع يعود إلى حقبة زمنية أقدم ويعود إلى الأسرة الثامنة عشرة (1292-1550 قبل الميلاد) ويحتل مساحة تبلغ 300 متراً مربعاً. وقد أُجريت دراسة ميدانية للنقوش قامت بها جامعة شيكاغو، حيث أمضى الدكتور دورمان قرابة تسع سنوات يقود هذه الدراسة وخمس سنوات يرأس قسم حضارات ولغات الشرق الادنى. وقد لزم الدكتور دورمان وفريقه ست سنوات من العمل المضني لتسجيل ودراسة جميع الأعمال الفنية والنقوش البارزة الموجودة في تلك المقدسات. وجاءت كل واحدة من اللوحات المئة وخمسين في هذا الكتاب المرجعي نتيجة عمل مشترك بين رسام وعدد من الفنانين ومختصين بدراسة النقوش. وقام الرسام بالنسخ مباشرة عن رسوم مكبّرة وقام اختصاصي دراسة النقوش بالتصحيحات الدقيقة اللازمة.

وأوضح دورمان: "لا يمكنك نسخ عمل فني مفصّل عن جدار طوله عشرة أمتار إلا من خلال إستخدام طرق مختصرة لالتقاط الصور." وقد طُبع هذا الكتاب في 500 نسخة ورقية كما أُنتجت عنه نسخة الكترونية بي.دي.إف يمكن تحميلها من موقع المعهد على الإنترنت. والمعبد الذي جرت دراسته تمّ تزيينه بناءً على أوامر من الملكة حتشبوت، التي كانت الفرعون الخامس في الأسرة الثامنة عشرة، وهي كانت كذلك زوجة تحوتمس الثاني، الذي توفي بعد أن أصبح ملكا ببضع سنوات دون أن يترك وريثا مباشراً للعرش. تحوتمس الثالث ربيب حتشبوت وابن أخيها، كان على ما يبدو صغيراً جداً لتولي منصب الملك آنذاك. نتيجة لذلك، تم تعيين حتشبوت أولاً ملكة تحكم بإسم الملك، ثم تولت السلطة بعد عدة سنوات، مدعية أنها الوريث الشرعي للعرش، وتشاركت الحكم مع تحوتمس الثالث الصغير. لطالما أثارت حتشبوت فضول علماء الآثار والمؤرخين، لأنها صوّرت نفسها دائماً على شكل فرعون ذكر، على جميع نصبها التذكارية المالكة.

وكانت المرأة المصرية الوحيدة التي حكمت بزي رجل، كما أنها تمتّعت بأطول حكم بين جميع الحكام الإناث في مصر القديمة. غير أنه بعد عشرين عاما على وفاتها، قام تحوتمس الثالث بإعادة نحت نصبها ومحو أي اثر من حكمها كملك، سواءاً عن طريق إزالة صورتها كليا أو تغيير إسمها الملكي واستبداله بإسم زوجها أو والدها، تحوتمس الأول. سنوات الجهد الست في المعبد الصغير بقيادة دورمان ساعدت المؤرخين على فهم أفضل لعهد حتشبوت والدور الذي لعبته مع تحوتمس الثالث من خلال دراسة النقوش في المعبد وما تعنيه الزخرفة وإعادة النقوش في وقت لاحق. على سبيل المثال، لاحظ المختصون بدراسة النقوش أن التغييرات في الزخرفة في المرحلة اللاحقة لتحوتمس لم تحدث كرد فعل أو عشوائيا، ولكن بما يتفق مع خطة متماسكة لإعادة تكريس المساحات المقدسة بطريقة تتفق مع عبادة آمون في جميع أنحاء منطقة طيبة. وقال الدكتور دورمان

في مقابلة أجريت معه في مكتبه في الجامعة الأميركية في بيروت إنه من الضروري توثيق هذه المعابد القديمة مع أكبر قدر ممكن من التفصيل، بحيث يتمكن العلماء من دراستها على شكل مستندات في السنوات القادمة. وأضاف هناك حاجة ملحّة لتسجيل الآثار التي ما تزال قائمة حالياً، لأنها مهدّدة من قبل السياحة، وارتفاع المياه الجوفية، والكثافة السكانية. وأضاف أن الهدف من دراسة النقوش ليس استخراج نسخة عن كل ما هو موجود على الجدران، بما في ذلك الأضرار، بل فقط رسم النقوش الأصلية بأكبر دقة ممكنة وحذف التفاصيل غير المتصلة بالموضوع، كما يمكن للمرء رسم مخطوطة معمارية. وكان جيمس هنري براستيد "أب" علم الآثار المصرية الأميركي أسّس بعثة الدراسة الميدانية للنقوش المصرية في العام 1924، وهي لا تزال مستمرّة. وترتبط الجامعة الأميركية في بيروت بهذه البعثة منذ تأسيسها، فمدير البعثة الأول هارولد نيلسون تم تعيينه من قسم التاريخ في الجامعة من قِبل براستيد نفسه. ويذكر أن الدكتور دورمان حاضر عن الملكة حتشبوت في متحف الجامعة في تشرين الأول 2008. وهو رائدٍ عالمي في دراسات الشرق الأدنى القديم، وخاصة الدراسات المصرية، حيث يبرز كمؤرخ، وكدارس للنقوش القديمة، وكباحث في اللغات. وهو مؤلّف ومحرّر كتب عدة مقالات كثيرة رئيسية في دراسة مصر القديمة، وقد يكون أشهر ما يعرف به هو عمله التاريخي حول حكم حتشبوت وحقبة العمارنة. أما أحدث مؤلفاته فهو كتاب: "وجوه من طين: التقانة والتصوير والتلميح في المنحوتات الخزفية في مصر القديمة" (2002) والذي يتناول بعمق المهارات الحرفية في ضؤ الحضارة المادية ورسم الأيقونات، والنصوص الدينية.

وفي العام 2007، وبالاشتراك مع بتسي برايان من جامعة جونز هوبكنز وضع كتاب "الفضاء المقدس والوظيفة المقدسة في طيبا القديمة". والدكتور دورمان ترأس في العام 2002 دائرة لغات وحضارات الشرق الأدنى، وهي دائرة مميزة في جامعة شيكاغو التي تعدُّ إحدى أهم الجامعات البحثية في العالم. وكان قبل ذلك قد أمضى تسع سنوات بين العامين 1988 و1997 رئيساً لجهود دراسات النقوش في مركز "شيكاغو هاوس" في الأقصر في مصر. وقبل ذلك، من 1977 إلى 1988 عمل في مناصب إدارية لقسم الفن المصري في متحف المتروبوليتان في نيويورك.